

متحف "نظامي الغنجوي" للغة والأدب الأذربيجاني



ونجد أنّ اتساع موضوعات "نظامي" وعمق المحتوى يتوافق وقوته الفنية والجمالية. وكان الشاعر الألماني الشهير "يوهان فولفجانج فون جوته" يُعدُّ "نظامي الغنجوي" "شاعر كل العصور والشعوب". أمّا الشاعر الألماني "هاينريش هاينه" كتب بشعور عاطفي: "لألمانيا شعرائها العظام ... لكن من هم مقارنة بالشاعر "نظامي"؟".

وبعد هذا العرض الموجز عن شخصية الشاعر الأذربيجاني القدير "نظامي الغنجوي" وإبداعه، يتبيّن لنا شمولية أعماله من حيث الزمان والمكان، وأنها تستحق الدراسة والتدقيق والعمل على اكتشاف أسرارها الفنية. وبالطبع هذا يوضح لنا سر كل هذا الاحتفاء بهذا الشاعر القدير وبأعماله الشعرية داخل أذربيجان وخارجها، وتأسيس الكثير من الأقسام العلمية في الجامعات والمعاهد الأذربيجانية تحت مسمى "علم النظميات" أو "علم دراسات نظامي الغنجوي" يختص بدراسة كل ما يتعلق بهذا الشاعر بجميع اللغات. واستحق هذا الشاعر بجدار إعلان عام 2021م هو "عام نظامي الغنجوي".

بوصفه ملكاً قوياً، وبطلاً فاتحاً، وعرض الآراء المختلفة التي قيلت في حقيقة "الإسكندر"، ويشمل هذا المجلد حوالي 6800 بيت من الشعر. أمّا المجلد الثاني فيسمى "إقبالنامه" (كتاب السعادة أو الحظ)، كما يسمى "خردنامه" (كتاب العقل)، ويتحدث فيه عن "نظامي" بوصفه حكيمًا، ويشمل 3680 بيتًا من البيت.

وبعد معرفة مضمون منظومات يمكن إلقاء نظرة عابرة على العناوين الجغرافية الموجودة في أعمال "نظامي الغنجوي"، لمعرفة مدى اتساع نطاق إبداعه: اليونان القديمة (منظومة "اسكندرنامه" التي تتحدث عن الإسكندر المقدوني)، أو إيران موطن الحاكم الأسطوري "خسرو" (منظومة "خسرو وشيرين")، أو المقاطعات التركية واليونانية والسلافية والهندية والخزمية والعربية والصينية التي تمثلها الجميلات السبع (منظومة "الحسنات السبعة").

وثمة ميزة أخرى مهمة هي أنّ هؤلاء الأبطال ينتمون إلى ديانات مختلفة، وبالطبع هذا الجانب هو دليلٌ ومؤشرٌ على المستوى العالي للتسامح في نظرة "نظامي" للعالم.



ذلك لم يستغرق في نظمها أكثر من أربع أشهر، وقال إنه لو لم يكن مشغولاً بأعمال أخرى؛ لأتمها في أربع عشرة ليلة. بدأ "نظامي" منظومته "ليلي والمجنون" بمقدمته التقليدية عن التوحيد وندت الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ثم تحدث عن سبب نظم القصة، وختمها بالنصح بالقتاة، وترك التذلل، والابتعاد عن خدمة الملوك والولة، وشغل الفراغ بنظم الشعر. ثم أخذ بعد ذلك في سرد القصة. منظومة "الحسنات السبعة" (1197م): نظم الشاعر هذه المنظومة في بحر الخفيف، وهي تشمل 5130 بيتاً من الشعر. وتروي قصة الملك "بهرام الساساني" الخامس الذي تربى عند الملك "النعمان"، وتزوج من سبع فتيات هن بنات ملوك الأقاليم السبعة، أسكن كل واحدة منهن في بناء ذي سبع قباب بألوان مختلفة، وكان يستمتع في كل ليلة إلى إحدى زوجاته وهي تقص عليه قصة من ماضيها.

منظومة "إسكندر نامه" (كتاب الإسكندر المقدوني) (1203م): هي أكبر منظومات الشاعر من حيث الحجم حيث تشمل 10460 بيتاً في بحر المتقارب المثنى. وقد نظم الشاعر هذه المنظومة في مجلدين تحدث فيها عن جوانب من شخصية "الإسكندر". ويسمى المجلد الأول بـ"شرفنامه" (كتاب الشرف)، وهو يتحدث عن "الإسكندر"

نظمه لقصته "خسرو وشيرين". وتعد هذه المنظومة هي أول أعمال "نظامي" الرومانسية التي تجسد ملحمة عشق الأمير الساساني "خسرو برويز" مع الأميرة الأذربيجانية "شيرين"، اللذين لا يلتقيان إلا بعد سلسلة من الأحداث تنتهي بمقتل "خسرو" وانتحار "شيرين" على قبر حبيبها. واعتمد "نظامي" في المنظومة على مصادر كثيرة، مثل: "أخبار ملوك الفرس"، و"الأضداد"، و"الشاهنامه" للفردوسي، ولكنه تناولها بطريقة أخرى؛ إذ ابتعد فيها عن الدراسة الموضوعية، واستطاع أن يخرجها قصة غرامية بعكس "الفردوسي"، فإنه أخرجها قصة حماسية. لقد أبدع "نظامي" في المنظومة نشيداً للحب السامي الذي يثري الإنسان ويكمله، ويرفعه إلى مكانة رفيعة، ويغير شخصيته من السلبية إلى الإيجابية. منظومة "ليلي والمجنون" (1182م): تضم هذه المنظومة أربعة آلاف وسبعمئة بيت في بحر المسدس. ولا تدور أحداث هذه القصة في البيئة التي عاش وتربى فيها "نظامي"، بل في بلاد العرب. فهي قصة حب يمثل دور البطولة فيها بطلان، هما: قيس بن الملوح، ومجنون بني عامر، ومعشوقته ليلي بنت سعد من القبيلة نفسها. وقد أشار "نظامي" إلى صعوبة نظم هذه القصة؛ لأنها غير مألوفاً لديه، وأظهر خوفه من الفشل؛ لعدم توفر مادة القصة عنده، وبالرغم من

"نظامي الغنجوي" تمثال في باكو للنحات "فؤاد عبد الرحمنوف"



منظومة "مخزن الأسرار" (1164م): تتكوّن هذه المنظومة من 2288 بيتاً موزوناً على بحر السريع، وتنقسم على مقدمة تقليدية طويلة تستغرق ثلث المنظومة، تحدث فيها عن موضوعات مختلفة. تتلوا عشرون مقالة تعالج جميعها المسائل الأخلاقية، وتُعدُّ كل مقالة أساساً لقصة تتلوا مؤكداً الغرض الذي تهدف إليه المقالة في شيء من الشرح والتوضيح. ويمكن القول إنّ هذه العشرين مقالة ترمي جميعها إلى هدف واحد تقريباً هو تمجيد العدل، وذم الظلم، والدعوة إلى أن يسود الإنصاف والوفاء بين الناس في دنيا فانية خداعة، سوف تنقضي سريعاً، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدمت يداه، أما الخاتمة فكانت في الزهد والعرفان.

منظومة "خسرو وشيرين" (1175م): نظم الشاعر "نظامي الغنجوي" هذه المنظومة في ستة آلاف وخمسة بيت في بحر الهزج، بدأها بمقدمة تقليدية تحدث فيها عن توحيد الله، ومدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وسبب نظم القصة، ومدح مَنْ قدمت لهم، ثم تقدم عن العشق وأهميته في حياة البشر، حتى يبرر

وبصفة عامة نستطيع أن نلمس من أشعار "نظامي"، أنّه نشأ نشأة دينية، متأثراً بمدينة "غنجة" التي عاش فيه، فقد قرّر هو أنّه كان متديناً منذ شبابه، فقال: "لم أقبّ - منذ شبابي - على باب أحد غيرك لقربي منك"؛ ولذلك وجدناه في منظومته "مخزن الأسرار" أولى منظوماته، كثير التحدث عن التفكير والمراقبة، والانقطاع للعبادة.

وكذلك كان "نظامي" - كما يبدو من شعره - ذا خلق قوي، ونفس نبيلة، متسامحة حتى مع أعدائه، الذين كانوا يحسدونه؛ فقد وجدناه يدعو لمن يحسده، فيقول: "ليكن لمن يحسد نظامي، نفس بلا تأوه، وعين بلا دموع". كما أنّه لم يخرج في قصصه عن حدود الفضيلة، فصور - في منظوماته - الطهر والعفاف، ورعاية الفضيلة؛ ممّا جعل لها نغمة واحدة.

ويمكننا إلقاء نظرة مختصرة على مضمون منظومات "نظامي" الخمسة، التي تُعدُّ أساس إبداعه، وسبباً في انتشار شهرته قديماً وحديثاً، وهي على النحو الآتي:

منظومات قصصية شعرية، هي: "مخزن الأسرار"، و"خسرو وشيرين"، و"ليلي ومجنون"، و"الحسنات السبعة"، و"إسكندرنامه" (كتاب الإسكندر المقدوني).

لقد نُظمت منظومات "خمسة" لـ"نظامي الغنجوي" بعد حوالي قرنين من الزمان من "الشاهنامه" للشاعر الفارسي الكبير "أبي القاسم الفردوسي"، وتحمل "خمسة" مكانةً مهمةً بين القيم الأخلاقية والجمالية التي أرست أساس النهضة الشرقية، وإلى جانب هذه المنظومات الملحمية، أدت كلماتها أيضًا دورًا مهمًا في التطور الجمالي للأدب البشري.

ويجدر الإشارة إلى أنّ هذه المنظومات كُتبت باللغة الفارسية التي كانت هي اللغة الأدبية الأساسية خلال العصر السلجوقي للسكان الذين يعيشون في منطقة واسعة ممتدة من الهند إلى آسيا الصغرى. كما كانت اللغة الفارسية أيضًا تُعدّ علامة على الانتماء إلى الطبقة العليا. تمامًا كما كانت اللغة الفرنسية إلزامية للأرستقراطية الروسية، فإنّ اللغة الفارسية أيضًا كانت إلزامية للإقطاعيين السلاجقة. ومع تطور حياة المدينة، بدأت هذه اللغة تُؤدي أيضًا دورًا بارزًا في المدينة. وكانت اللغة الفارسية لغة عالمية بمنزلة وسيلة لتوحيد عدد لا يحصى من الشعوب التي دخلت ضمن تركيب الدولة السلجوقية.

أمّا عن أبرز خصال "نظامي"، فهي حبه للحياة، والدفاع عن الكرامة الإنسانية؛ لذلك نجد أنّ أشعاره بصفة عامة ليس لها أي حدود قومية، فهي تنتمي للبشرية كلها. وقد أسس بهذه الأشعار مرحلة جديدة للإنسانية، متأثرًا كثيرًا بالشعر العربي. ويُعدّ من العباقرة الذين استطاعت أعمالهم أن تسافر عبر الزمن. كما كان الشاعر "نظامي الغنجوي" مصدرًا للإلهام، وصاحب فلسفة تقوم على السلام، والتفاهم، واحترام التنوع، وتبادل الخبرات، وله مبادئه الداعية إلى الحوار، والتي تُعدّ التعددية علامة من علامات الحرية الإنسانية، ويُعدّ من أفضل الأمثلة على الاهتمام بإبراز قيم التسامح والتفاهم، وله بصمته في التاريخ والثقافة العالمية، ويذكر عارفو قيمته أنّه لم يكن من شعراء البلاط، بل كان شاعر الشعب، وعاش في قلوب الناس، ومد جسورًا قوية بين الأزمنة والأمكنة، وأشعاره وتأليفه تخطت الحدود الجغرافية والزمانية، ووصلت للتقاليد العربية.

وإنّ القارئ لشعر "نظامي" ليحس بتمجيده للقوة، وتأييده لنصرة الفتوة، فهو يقول مثلًا:

"لماذا تعرض نفسك للصفعات؟

ولماذا ترضى بكل جفاء؟

كن قويًا شامخًا كالجبل،

وقابل لين العالم بالخشونة؛

لأنك لو نسجت الحرير، أو كنت كالسوسن،

فإنّك سوف تشرب الماء العكر، حتى من الأرض الصافية،

فالدلة لا تُؤدّي إلى تقليل الاضطهاد،

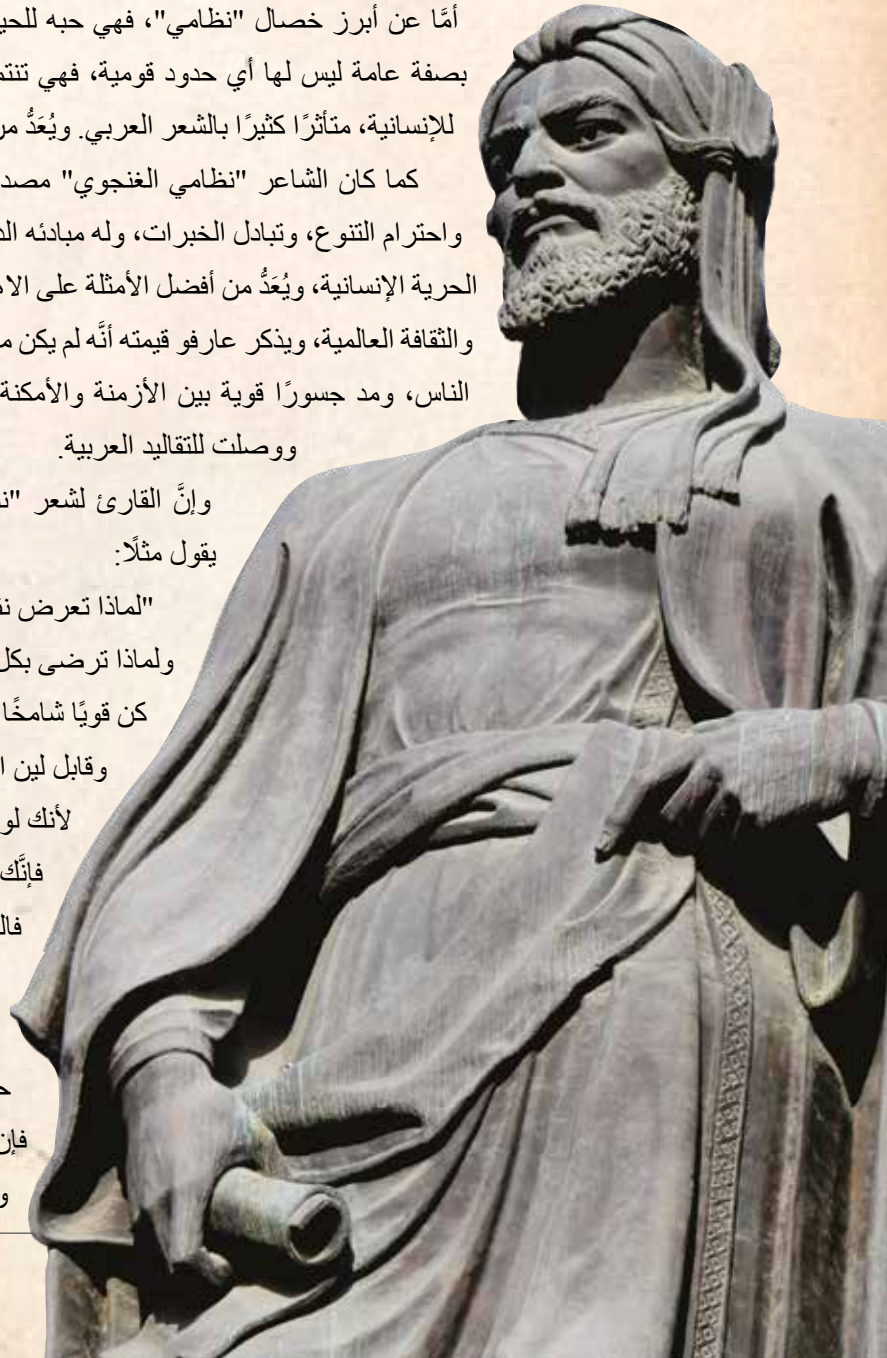
وتحمّل الجور يورث الذل،

فكن كالشوك حربته فوق كتفه،

حتى تستطيع أن تضم مجموعة الورد إلى صدرك،

فإن الظلم والاضطهاد يقصمان ظهر القويّ،

ويسبّبان في القضاء على الإنسان".



شاهد قبر "نظامي الغنجوي". مدينة غنجة 1924م.



القصائد بكلمات نادرة وصعبة، بل بالرغبة في الانشغال بمفاهيم علم الفلك الحديث انشغالاً نموذجياً. ويتطلب هذا الأمر إتقان جميع أساسيات هذا العلم. وكان لدى "نظامي" أيضاً بعض المعرفة بالطب والرياضيات. بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت معرفة "نظامي" بالفلسفة والمنطق والكيمياء أيضاً. سبباً في أنه كان على دراية بجميع علوم عصره. وكان في ذلك العصر من المستحيل دراسة كل هذه العلوم دون معرفة اللغة العربية. وبما أن أسلوب الشعر كان يعتمد في الأصل على مادة الشعر العربي الكلاسيكي، فيمكننا القول بشكل مؤكد إن "نظامي" كان يتقن اللغة العربية.

إبداعه وشخصيته الأدبية:

بدأ "نظامي" إبداعه الأدبي بقصائد غنائية وغزليات ورباعيات، وهذه هي الأنواع الشعرية التي كانت تسود في عصره. وذاعت شهرته الأدبية في وقت قصير، ونظم ديوانه الشعري الذي لم يصل لنا منه سوى أشعار قليلة بالرغم من أنه أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر. ولكن من أشهر أعمال "نظامي" الشعرية هي ما يعرف بـ "بنج غنج"، التي تعني (الكنوز الخمسة)، وهي عبارة عن خمس

العام الحالي 2021م احتفالاتٍ واسعة داخل

أذربيجان وخارجها بمناسبة مرور ثمانمائة وثمانين عاماً على ميلاد الشاعر الأذربيجاني

القدير "نظامي الغنجوي"، الذي تركت كتاباته تأثيرها الواسع في شعراء بارزين في عصره، وامتدت حتى يومنا الحالي. وقد جاءت هذه الاحتفالات بموجب صدور مرسوم رئاسي من الرئيس الأذربيجاني "إلهام علييف" في الخامس من يناير 2021م بشأن إعلان عام 2021م "عام نظامي الغنجوي".

لم يكن الشاعر الأذربيجاني "نظامي الغنجوي" بالنسبة للأذربيجانيين على مر العصور مجرد شاعر ذاعت شهرته فحسب، بل هو مفكرٌ وحكيمٌ وفيلسوفٌ أيضاً، واستحق بجدارة لقب "شاعر الفضيلة" الذي يحث الناس إلى التمسك بالقيم الدينية والإنسانية الصحيحة.

وُلد نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الغنجوي الملقب بـ "نظامي" عام 1141م، في العصر السلجوقي بمدينة "غنجة" إحدى مدن أذربيجان الكبرى، والتي اتخذها لقباً له، وعاش فيها طوال حياته. وعلى الرغم من دعوات الحكام العظماء، لم يكن "نظامي الغنجوي" شاعراً للقصر مطلقاً. وعلى ما يبدو، كانت المناداة للحرية الموجودة في أعماله من سمات شخصيته. فلم يبق قط باستبدال حريته الشخصية وتحرره من أجل رفاهية القصر. لقد تتلمذ الشاعر الأذربيجاني على يد كبار العلماء في "غنجة"، ويتضح من أعماله أنه كان على دراية بكل علوم عصره. وبلا شك كان أول هذه العلوم هي الفلسفة (كانت فلسفة ذلك الوقت مدمجة مع علم اللاهوت). ولكن معرفة "نظامي" لهذا العلم، وخاصة معرفته بالفلسفة اليونانية القديمة، كانت أوسع بكثير من المعلومات التي كان يتمتع بها علماء المسلمين آنذاك، حيث قرب "جورجيا" من مدينة "غنجة" التي حافظت على تقاليد العلوم البيزنطية جعل "نظامي" على دراية بقضايا لم يكن الفلاسفة العربي يعرفونها، وهذا ما انعكس جلياً في مختلف أشعاره.

وبجدر الإشارة إلى أن علم الفلك آنذاك كان أيضاً على قدم المساواة مع الفلسفة؛ لذلك يمكن إعداد معجم كبير للمصطلحات الفلكية من خلال أعمال "نظامي". وعند تحليل كيفية استخدام "نظامي" لهذه المصطلحات، يتضح لنا أن الأمر لا يتعلق بزخرفة

نظامي الغنجوي-880 IRS

أ.د/ أحمد سامي العايدي

الشاعر الأذربيجاني القدير "نظامي الغنجوي" ومرور 880 عامًا على ميلاده

"نظامي الغنجوي"
للرسام "غزنفر خاليقوف"